ظاهرةُ تفصيل المعاني بعد استيفائها في القرآن الكريم "دراسة أسلوبية" قصة ابني آدم آية رقم (27) من سورة المائدة (أنموذجاً) .

محمد الورد علي الورد.*

المُلَخَّصُ:

قامت هذه الدراسة على محاولة الكشف عن إمكانيات قراءة معاصرة للبنى الأسلوبية التركيبية واللفظية والموسيقية لقصةٍ من قصص القرآن الكريم، وهي قصة (ابني آدم) آية (27) من سورة المائدة؛ لبيان الدلالة منها والوقوف على بيان القرآن المعجز فيها.

وقد خلصت إلى أنّ التعبير القرآني كان دقيقاً جداً في القصة، وأنّه وظّف كلّ إمكانات التعبير؛ لتحقيق المعنى المراد، فوظّف الصورة البيانية، والمفردة في اختياره اللغوي، والصوت اللغوي، وكلٌّ هذا التوظيف الفني والجمالي؛ لتحقيق مقاصده ودلالته، ولإيصال المعني للمتلقي وتأكيده وتقريبه إلى ذهنه، ولإحداث أثر فيه ببيانه.

Abstract

This study has attempted to explore the possibility of a modern reading of the structural, lexical and musical styles of one of the Quranic stories (that is the story of Adam's sons , verse 27, Al-ma'eda Sura) with a view to revealing its semanticity and showing the miraculous Queanic style in that story.

The study concludes that the Quranic expression is so precise in this story. It has made use of all potentials to deliver the intended meaning. It has made precise use of the image, the word selection, and the linguistic to help the reader receive a crystal clear picture of the meaning of the story as well as to leave a very strong impression in the reader's mind.

* طالب دكتوراه بقسم اللغة العربية / كلية اللغات/ جامعة صنعاء

أولا: المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وأنزل عليه القرآنَ الكريم بياناً لكلَّ شيءٍ، "وهدىً ورحمةً للمحسنين"(لقمان: 3).

وبعد:

لقد نال الأسلوب القرآني اهتماماً كبيراً، وحظي بمكانةٍ ساميةٍ في الدراسات والبحوث عرضاً، وتحليلاً، ومناقشةً وتعليلاً؛ كونه النص المعجز، والمحكم الذي تحدى به الله (سبحانه وتعالى) أرباب الفصاحة والبيان.

ومع كثرةِ هذه الدراسات والبحوث، وكثرة الموضوعات التي تطرق اليها العلماءُ والباحثون بالدراسة والتحليل، تبقَّى للباحثين في أساليب القرآن، ومستويات أدائه مجالاتٌ واسعةٌ ومتجددةٌ من الموضوعات التي يجب أن تُدرس.

ومن ثَّم كان اختيارُ موضوعٍ بحثي الذي عنونته: بـ (ظاهرة تفصيل المعاني بعد استيفائها في القرآن الكريم "دراسةً أسلوبيةً" قصة ابني آدم آية رقم (27) من سورة المائدة (أنموذجا).

وهو موضوعٌ يدرس الآية القرآنية التي استوفت معناها ثم فصل فيه دراسةً أسلوبيةً تقوم على استكشاف، وبيان بلاغة هذا الأسلوب القرآني، وما فيه من إعجازٍ بديعٍ، وتوضح صوره، وتستكشف جماله، وتبين أسراره وخصائصَه الأسلوبية.

وتبرز أهميةُ البحثِ في أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها في الآية القرآنية دراسةً أسلوبيةً، ويوضح وجوه الإعجاز فيها، و يدرسها دراسةً على مستوى التركيب، ودلالة اللفظ، والصوت في سياقها الذي وردت فيه.

كما ينال أهميته من المقام العالي، والرفيع للموضوع القرآني الذي يدرسه، بالإضافة إلى أنَّها أولُ دراسةٍ تتناول دراسة ظاهرة تفصيل المعاني بعد استيفائها في القرآن الكريم دراسةً أسلوبيةً، بهذا المنهج المفصل والمبين.

ثانيا: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

أولاً-الكشف عن العناصر التي تكوّن الظاهرة القرآنية في الآية لبيان نبأ(ابني آدم)، والبحث في إمكانات هذه الظاهرة البيانية، والكشف عن علاقة أدائها اللغوي ببيانها المعنوي.

ثانيا-دراسة المستوى التركيبي في الآية القرآنية وعلاقة الجمل بالسياقات التي وردت فيها.

ثالثا- دراسة المستوى اللفظي في الآية القرآنية من خلال علاقة الألفاظ بسياقاتها التي وردت فيها.

رابعا-فتح آفاق جديدةٍ للدارسين تتناول جوانب أخرى في إعجاز القرآن الكريم؛ لتوظيفَها في الدعوة إلى الله.

خامسا-رفد المكتبة القرآنية بهذه الدراسة العلمية، وتقديمها للباحثين في البيان القرآني وإعجازه في هذا الحقل المعرفي القرآني.

ثالثا- منهج البحث:

سيعمد البحثُ إلى دراسة الظاهرة وتحليلها في القرآن الكريم، وحصرها على النحو الآتي:

أولاً: بيان الآية التي وردت فيها هذه الظاهرة في القرآن الكريم.

ثانياً: جمع المادة العلمية من مصادرها العلمية, والاستفادة من لطائف العلماء، والمفسرين، والبلاغيين البلاغية في توجيهها.

ثالثاً: تصنيف المادة العلمية لهذه الظاهرة إلى ثلاثة مستويات تركيبية، ولفظية، وموسيقية وتحليلها في ضوء السياق الذي وردت فيه، والإفادة من معطيات البحث الأسلوبي الحديث، وما تأصل في بلاغتنا العربية.

رابعا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أجد في الدراسات والبحوث دراسة بيانية شاملة قد درست هذا على نحو مستقل، وإنما وجدت مقالات مجتزأة، وكتابات مبثوثة في الكتب، وقد أطلعت على رسالة ماجستير قام بها الباحث:(هاني خضر مصطفى) بعنوان:"أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم"،إلا أن دراسته لم تهتم بالتفصيل بعد الاستيفاء في السياق الواحد، وإنما ربط بين بعض الآيات المجملة والآيات المفصلة لها بحسب ترتيب النزول والأسلوب والسياق والمضمون.

كما أطلعت على رسالة دكتوراه من قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة الكوفة للباحث: (سيروان عبد الزهرة الجنابي) بعنوان: (الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: دراسة في الدلالة القرآنية) إلا أنها اهتمت بالدلالة الأصولية، وبيان مقصودها عند اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين، وبيان أوجه اتفاقها واختلافها معهم، كما أنه اهتم بالجانب النظري في دراسته في دراسة للدلالة، وبيان مقصودها، ولم يكن له علاقة بالمنهج الأسلوبي وأصوله البلاغية.

وأمَّا الدراسات الأسلوبية في القرآن الكريم، فهي كثيرة ومتعددة، وتُعَدُّ هذه الدراسة سابقة في موضوعها؛ كونها تهتم بدراسة الظاهرة في سياقها الواحد، وتكشف مآلاتها، وتهتم بها في بيان إعجازها في مستويات عدة(التركيبي، واللفظي، والصوتي).

خامسا-محتويات البحث:

تم تقسيم الدراسة على النحو الآتي:

أولا: المقدمة

ثانيا: المبحث الأول: المدخل النظري(التمهيد)، ويتكون من:

أولا: التعريف بمصطلحات البحث.

ثانيا: علاقة موضوع البحث بالبلاغة العربية.

المبحث الثاني: موضوع البحث ويتكون من الآتي:

أولا: الفكرة الموجهة للظاهرة.

ثانيا: عناصر تشكيل الظاهرة.

ثالثا: تحليل الظاهرة في مستوياتها الثلاثة(التركيبي، واللفظي، والصوتي).

خامسا: خاتمة البحث، ومصادره ومراجعه.

المبحث الأول: المدخل النظري(التمهيد):

المطلب الأول: مصطلحات البحث:

أولا: الاستيفاء:

مصدر من الفعل استوفى، والمقصود به اكتمال المعنى وتمامه، وإعطاؤه ما يستحقه، ومنه قوله تعالى: (تهثم جم حم خم)(المطففين:1)،أي: يأخذون حقهم مكتملاً دون نقصان؛ فالمقصود به اكتمال المعنى في الآية القرآنية بلفظه المذكور.

وفي لسان العرب: "وفّى الشيء: أتمّه ولم ينقص منه شيئا، ومنه أوفيت العهد، ومنه قوله تعالى: ﴿أنح نخ نم نه هم ﴾(الشعراء:181)، وقوله:﴿أّ ﴾"(الإنسان:7)، وفي الحديث عن النبي

(صلى الله عليه وسلم): "أنكم وفيتم سبعين أمةٍ أنتم خيرها وأكرمها[1]، وتوفيت المال منه، واستوفيته إذا أخذته كلّه، وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم[2]، وفي المعجم الوسيط: استوفى فلان حقّه أخذه وافياً، ويقال: استوفى منه ما لم يبق عليه شيئا"[3].

يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين ــ وهو يتكلم عن استعمال الناس الطول والعرض فيما ليس له: وكان أبو تمام قد استوفى في المعنى في قوله: " تطول الدهر"[4]، أي: أتى على تمام المعنى.

والاستيفاء: طلب الوفاء بالأمر أي: أخذ الحق كاملا، ومنه استيفاء العضو بالمسح، واستيفاء الأركان، واستيفاء المقومات الأساسية[5].

ويقصد به في البحث أن اللفظ القرآني استوفى معناه واكتمل، لكنه لم يقف عند حدود اللفظ ومعناه المكتمل، وإنما فصل فيه بطرق التفصيل المتعددة لمآلات يبينها البحث، ويكشف عن دلالاتها.

ثانيا: التفصيل:

التفصيل: مصدر للفعل فصل، ومن معانيه الشرح، والتجزئة، والتبيين[6]، ومنه قوله تعالى "بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ"(الأعراف: 52)، وفصل الكلام أي: أتى به مفصلاً بدقائقه، وتفاصيل الشيء: جميع أجزائه، وما يحيط به، وفصل الشيء جعله فصولاً أي قسّمه، والأمر بيّنه، ومنه قوله تعالى: " چ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ □ (الأنعام:97) [7].

قال أبو هلال العسكري في الفرق بين الشرح والتفصيل: "إن الشرح بيان المشروح وإخراجه من وجه الاشكال إلى التجلي والظهور، ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن، والتفصيل هو ذكر ما تضمنه الجملة على سبيل الافراد.

ولهذا قال تعالى:چ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ (هود:1)، ولم يقل شرحت، وفرقٌ آخرٌ أنّ التفصيل هو وصف آحاد الجنس وذكرها معا، وربما احتاج التفصيل إلى الشرح والبيان والشيء لا يحتاج إلى نفسه[8].

---

(1) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج5، دار إحياء الكتب العربية، 1987م، ص349، رقم الحديث(4288).

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار(صادر)، بيروت، ط1، 1997 م، (وفى).

(3) إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط1، د. ت، (وفى).

(4) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الصناعتين،ج1، تح: د مفيد قمحه، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1989م، ص39.

(5) قلعجي، محمد رواس، حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء،ج1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م، ص67.

(6) ينظر الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م، وابن منظور، لسان العرب، (فصل).

(7) ينظر: المعجم الوسيط، (فصل).

(1) العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل، الفروق اللغوية، ج1، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م، ص298.

ويرى ابن مالك أن التفصيل: تبيين للأمور المجتمعة بلفظٍ واحد[1]، وقد مثّل له ابن الأثير في المثل السائر فقال: "التفصيل في قوله تعالى: ﴿ٱ ﱡ ﱠ ﱢ ﱣ ﱤ﴾(الرحمن:68)، فقد ذكر النخل والرمان مع أنّه ذكرهما في ذكره للفاكهة[2].

ثالثا: الأسلوبية:

الأسلوب: جاء في لسان العرب يقال: للسطر من النخيل أسلوب، و(الأسلوب) هو كل طريق ممتد و(الأسلوب) الطريق، والوجه، المذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، و(الأسلوب) بالضم الفن يقال: أخذ فلانٌ في أساليب القول أي: في أفانينٍ من القول[3].

والأسلوب هو اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوي إلى خطابٍ متميزٍ بنفسه[4]، وهو ما يشير إلى فرادة النص الأدبي، وخصوصية أسلوبه وارتباطه بصاحبه، وفردية هذا الشخص.

والتحليل الأسلوبي يهتم بقيم التميز الأسلوبية، فبما أنّ الأسلوب هو القالب،فلابد أن يكون لكلّ شخصٍ قالبه المعد وفقاً لقوانين اللغة، وبهذا تكون الأسلوبية علماً يهتم بدراسة الخصائص التي تخرج الخطاب عن وظيفته الإخبارية الإبلاغية إلى وظيفته التأثيرية والجمالية [5].

وهي لا تتوانى عن تناول أي جزئيةٍ من مكونات النص، الذي يشكل من ثلاثة جوانبٍ متواشجةٍ ومتلاحمةٍ الأول: الجانب الملفوظ في النص، والثاني: الجانب الإدراكي المفهوم من النص، والثالث: تركيب النص وبنيته التي تعمل على تلاقي جوانبه الملفوظة والمفهومة، وننطلق من هذه الجوانب لتحديد المكونات الأسلوبية [6].

وهذا ما أقصده بالأسلوبية في البحث: وهو المنهج الوصفي الذي يتناول دراسة النص القرآني على أساس تحليل الظواهر اللغوية الأسلوبية؛ لكشف الظواهر الجمالية فيه، وتحديد الميزات الأسلوبية التي يتميز بها النص القرآني عن غيره من النصوص الأخرى، والتي تقوم في دراستها لهذه القيم، وبيان فاعليتها في إثراء النص على مستويات ثلاثة، وهي(المستوى التركيبي، والمستوى اللفظي، والمستوى الصوتي).

المطلب الثاني: التفصيل بعد الاستيفاء وصلته بالبلاغة العربية.

التفصيل بعد الاستيفاء أسلوبٌ بلاغيٌ يؤتى بالمعنى المستوفي أولاً ثم يؤتى بما يبين ذلك المعنى المستوفي ويوضحه ويفصّله سواء أكان ذلك برابط يربط جملة الاستيفاء بالتفصيل أم بدون رابطٍ، ويدخل في هذا الأسلوب البلاغي موضوعاتٌ بلاغيةٌ عدة كالآتي:

---

(2) الأنصاري، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، دراسة وتح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط ، د. ت، ص341.

(3) ينظر: ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1995م، ص58.

(4) ينظر: الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، (أسلوب)، والزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، 1966م، (سلب).

(5) عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1980م، ص145.

(1) ينظر: العبدلي، أمير فاضل سعد، في النقد الأدبي الحديث، مكتبة صلاح الدين الأيوبي، الحديدة، ط1 ،2015 م، ص26،27 .

(2) عبابنة، سامي محمد، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي البلاغي، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1، 2007م، ص117.

اللف والنشر: يسميهما بعض البلاغيين الطي والنشـر، وهو أحد فنون علم البديع من علم البلاغة، ويعني أن تذكر شيئين فصـاعداً إما تفصيلاً؛ فتنصّ على كلّ واحدٍ منهما، وإما إجمـالاً؛ فتأتي بلفظٍ واحدٍ يشتمل على متعدد وتفوض إلى العقل رد كل واحدٍ إلى ما يليق به من غير حاجةٍ إلى أن تنص أنت على ذلك.

أو هو (بعبارة أخرى) ذكر متعددٍ مفصلٍ أو مجملٍ، ثم ذكر ما لكلٍّ من آحاده بلا تعيين؛ اتكالاً على أن السامع يَرُدَّ إلى كلٍّ ما يليق به لوضوح الحال(1)، ويتعلق مع أسلوب التفصيل حين يذكر أولاً الكلام مجملاً ثم يقوم بنشره، كما في قوله تعالى:ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯻ ﯻ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ(آل عمران:104).

فقد ذكر بيض الوجوه وسودها إجمالاً ثم ذكر ما يناسب كلّ منهما فذكر ما يناسب اسوداد الوجوه وبيّن عقابهم، كما ذكر ما يناسب بياض الوجوه وبيّن ثوابهم.

كما يتداخل معه موضوع التكرار البلاغي، فالتفصيل في أحد أوجهه يأتي بتكرار الصيغة أو التركيب كما في قوله تعالى ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ئا(العلق:16).أو التكرار في التركيب كما في قوله: " ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ

ﰖ ﰗ ﰘ)

فتكرار الصياغة في الآية الأولى، وتكرار التركيب في الآية الثانية تفصيل بعد استيفاء، فالتكرار مكونٌ من مكوناته، وهو جزءٌ منه ويتداخل معه موضوع التقسيم؛ إذ أن من وجوه التفصيل التقسيم لما قبله، فالتقسيم مكونٌ من مكونات التفصيل بعد الاستيفاء يقول القزويني: التقسيم وهو ذكر متعددٍ ثم إضافة ما لكلّ إليه على التعيين كقول أبي تمام:

وَمَا هُوَ إلاَّ الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ ... تَمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَيْ كُلِّ مَائِلِ

فَهذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ ... وهذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ (2)

فجاء تعيين ما يتعلق بالقسم الأول(الوحي) بعبارة: "فهذا دواء الداء من كل عالم"، وجاء تعيين ما يتعلق بالقسم الثاني(حد مرهف) بعبارة: "وهذا دواء الداء من كل جاهل".

وقال السكاكي:"هو أن تذكر شيئا ذا جزءين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك كقوله: أديبان في بلخٍ لا يأكلان ... إذا صحبا المرء غير الكبد فهذا طويلٌ كظل القناة ... وهذا قصيرٌ كظل الوتد "(3)

وعرفه زكيّ الدين بن أبي الأصبع بقوله: " التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه"(4)، ومنه قوله تعالى:ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ (العنكبوت: 39).

---

(1) ينظر: القزويني، سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط4، 1998م، ص366.

(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص234، والأبيات الشعرية لأبي تمام، حبيب بن أوس، ديوانه الشعري، ج2، تح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط2، 1994م، ص42.

(1) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، ج1، تح: نعيم زرزو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص425.

(2) المصري، ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1995،1م، ص65.

ومن الموضوعات البلاغية التي يقوم عليها أيضا موضوع التفريق بعد الجمع والتقسيم بعد الجمع؛ إذ يكون الجمع أولا ثم يؤتى بالتفريق للمجموع والتقسيم لـه، ففـي الإيضـاح "، ومنـه الجمـع مع التفريق والتقسيم كقولـه تعالى ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ (هود: 105).

أمـا الجمع ففـي قولـه (يـوم يـأت لا تكلم نفس إلا بإذنـه)، فـإن قولـه نفس متعدد معنـى؛ لأن النكرة في سياق النفي، وأما التفريق ففي قوله (فمنهم شقي وسعيد)، وأما التقسيم ففـي قولـه (فأمـا الذين شقوا) إلى آخر الآية الثانية[1].

وكـذلك مـن المواضـيع البلاغيـة التـي هـي مـن مكوناتـه (التعديـد) الاصـطلاحي؛ إذ التعديد اصـطلاحا هـو: " إيقـاع الألفـاظ المفـردة علـى سياقٍ واحـدٍ"[2]، فهـو ألفـاظٌ معجميـةٌ عددت لشـيءٍ واحدٍ، فهو جمعٌ للألفاظ، وتكثيرٌ لها، وزيادةٌ بها، وذكرٌ لنظائرها، واشتراكٌ فيما بينهـا فـي المعـاني أو في الهيئات في سياقٍ جامعٍ لكلّ ذلك.

قال السيوطي:"هو إيقاعُ الألفاظ المفردة على سياقٍ واحدٍ وأكثر ما يوجد في الصفات كقوله تعالى " ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ □ ﰊ □ ﰋ □ ﰌ (الحشر:23)[3]

وقد نظروا إليه على أنه من عناصر البديع الجمالية المعنوية، ومنه قوله تعالى: ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ (البقرة:133).

وهو أيضاً إطنابٌ لكنه إطنابٌ مقنّن يقوم على تفصيل ما أجمل قبلـه، فهو إيضـاحٌ بعد إبهـامٍ يأخذ بالبدل وعطف البيان ويزيد عليه، فهي أجزاء منه يتعداها إلى موضوعات أخرى غيرها.

ومن ما تم مناقشته يتضح لنا أن التفصيل بعد الاستيفاء أسلوبٌ من الأسـاليب البلاغـة العربية التي ارتبطت ارتباطاً مباشراً بجملةٍ من فنونها البديعية بألوانها المختلفة .

المبحث الثاني: موضوع البحث

يقوم البحث بدراسـة قصـة (ابنـي آدم) دراسـةً أسلوبيةً يكشـف عن بيانهـا المعجـز، فـي قولـه تعالى:

ﱡ ﱢ □
ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﱫ ﱬ ﱭ □ ﱮ □ ﱯ □ ﱰ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ ﲁ ﲂ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ (المائدة:27).

فالصيغة اللغويـة التـي حققت الاستيفاء هـي: "ﱡ ﱢ □ □ □ □ □" ثم فصل في هذا النبأ باستخدام الأداة "إذ" التـي جـاء بعدها التفصيل بذكر نبـأهم، وحكايـة قصـتهم التـي بـدأت بعدم تقبل القربان وانتهت بالقتل والحسرة والندامة.

ويمكن أن نمثل لها بهذا الرسم البياني:

رسم بياني لمسارات بنية التكوين

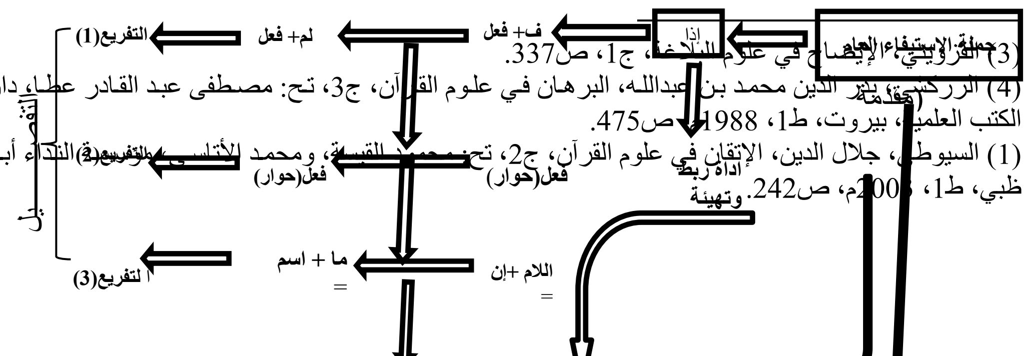

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص337.
(4) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ج3، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، ص475.
(1) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد القبسي، ومحمد الأتليسي، مؤسسة النداء أبو ظبي، ط1، 2003م، ص242.

وسيقوم البحث بدراسة ظاهرة التفصيل بعد الاستيفاء في الآية كما يأتي:

أولا: الفكرة الموجهة للظاهرة في الآية

وهي: الحسد، وبيان عاقبته من الظلم والخسران والندم.

ثانيا: عناصر تشكيل الظاهرة:

تتشكل عناصر تكوين الظاهرة في الآية؛ لتعمّق الفكرة الموجهة لها، وهي (الحسد وبيان عاقبته من الظلم والخسران بطريقة السرد القصصي؛ فقد بدأت الآية بالأمر من الله سبحانه (وتعالى) لنبيه محمد صلوات ربي وسلامه عليه بتلاوة هذه القصة، وهي مقدمة القص.

واختلفوا في المتلو عليهم فمنهم من قال: هم اليهود، ومنهم من قال: إنهم أهل الكتاب، و قائل: هم أصحاب النبي ، ومنهم من توسع في هذا فقال هم المستمعون إطلاقا من كتابيين وغيرهم .

ونحن نرجح كلام الطبري بقرينة الآية الأخيرة التعقيبية التي فيها تنديد باليهود، ونرجح في الوقت نفسه أنّها متصلة بالسياق السابق ومعطوفة عليه، وأنّها استهدفت بخاصة استئناف التنديد ببني إسرائيل الذين لم يرعووا عن انحرافهم برغم ما كان من تحذير اللّه لهم وإرساله رسله بالبينات إليهم"[1].

ثم يتعاقب السرد القصصي لهذا النبأ بالرابط بالأداة(إذا) ويبدأ من تقديمهما للقربان ثم بيان نتيجة التقديم بتقبل القربان من أحدهما وعدم تقبله من الآخر، ونجد بناء الفعل للمجهول(فتقبل)، وهو التفريع الأول، واختار التعبير العطف بالفاء(فتقبل)؛ لأنّ القبول كان بعد تقديم القربان مباشرةً وأما الفاء فللترتيب4 والتعقيب، نحو: "أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ" [2].

والفعل مبني للمجهول؛ ليشير بناؤه هكذا إلى أنّ أمر القبول أو عدمه موكولٌ إلى قوةٍ غيبيةٍ وإلى كيفيةٍ غيبيةٍ"[3].

ثم يمضي السرد القصصي في تتابع أحداثه في التفريع الثاني بالحوار(قال) ببيان نتيجة التقبل، وينتقل السرد إلى الحوار بين الأخوين الأخ الأول، وهو إنموذج الخير، والأخ الثاني وهو إنموذج الشر الذي يبدأ بالتوعد بالقتل(لأقتلنك)، ونلحظ التأكيد باللام؛ لزيادة الحرص والتعمد على قتل أخيه من الأخ الذي لم يتقبل الله منه مع أنه ليس لأخيه يدٌ في عدم تقبل قربانه، وتكون الإجابة ليس بالقتل والتوعد كما قيل له إنما بقوله: " إنما يتقبل الله من المتقين"

ثم التفريع الثالث بإجابة الأخ له ورده عليه (باللام + إن)؛ والتأكيد باللام وإن لزيادة الحرص وتأكيده على عدم بسط يده على أخيه بالقتل، والعلّة هي خوفه من الله سبحانه وتعالى، لأنه يريده أن

---

(1) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1383ه، ج9، ص 95.

(2) الأنصاري، جمال الدين عبدالله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،ج3، ص 323.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم ، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003م، ص875.

يتحمل ذنوبه فوقه؛ فيكون من أصحاب النار جزاء فعلته وظلمه لأخيه، واختار التعبير التأكيد بالباء مع ما النافية (ما أَنَا بِباسِطٍ): ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع. ولذلك أكّده بالباء المؤكّدة للنفي[1].

ثم ينتقل بنا السرد القصصي بذكر نتيجة الحوار وهي تطويع النفس الخبيثة لصاحبها بالقتل (فقتله)، ويمضي بنا السرد إلى نتيجة الفعل (القتل) وهي الخسران والندم .

ثم ينتقل بنا السرد إلى تدخل العناية الإلهية في بعث الغراب" فبعث الله غرابا يبحث في الأرض"

ولما فعل فعلته لم يعلم ماذا يفعل بجثته فحمله على ظهره، لأنّه أول قتيلٍ أهريق دمه على وجه الأرض من بني آدم، لذلك لم يعرف ما يفعل به بعد قتله «فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ» وكان معه غراب مقتول (ولم يكرر لفظ الغراب ويبحث في القرآن) كان تقاتل معه فقتله، فحفر الأرض برجليه ودفنه فيها.

وإنما بعثه اللّه إليه " لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ" فتنبه لذلك وفعل بأخيه ما فعل الغراب، ثم قال مؤنباً نفسه على فرط جهله وحمقه، إذ علم أنّ الغراب أفطن منه " قالَ يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي" خير من أظل حاملاً له، ولما دفنه رأى نفسه وحيدا " فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" على قتل أخيه وحمله إياه، ولم ينتبه لأن يعمل فيه ما عمله الغراب بأخيه الذي قتله مثله وزاد عليه بالمعرفة؛ إذ دفنه حالا"[2].

وختمت الآية بالتفخيم والتعظيم لتحريم جريمة القتل؛ كونه إزهاقاً لروح بريئةٍ من دون وجه حق، فقتل النفس الواحدة يعني قتل الناس جميعا؛ إذ هو اعتداءٌ على حق الحياة، الذي وهبه الله للنفس البشرية، ولا يجوز إزهاقها إلا بحق.

(لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □
يم يى □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ير (المائدة:27).

من أجل ذلك .. من أجل وجود هذه النماذج في البشرية .. من أجل الاعتداء على المسالمين الوادعين الخيرين الطيبين، الذين لا يريدون شراً ولا عدوانا .. ومن أجل أنّ الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبلات المطبوعة على الشر، وأنّ المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور في النفس ..[3].

وسيقوم البحث بتحليل الظاهرة في مستويات ثلاثة، وهي(المستوى التركيبي، والمستوى اللفظي، والمستوى الصوتي) كالآتي:

أولا: المستوى التركيبي:

يدرس البحث في هذا المستوى التراكيب اللغوية التي لها أثُر في السياق وتوجيهه؛ لتعميق فكرته الموجهة ومنها:

---

(1) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1995م، ص626.

(1) آل غازي ملا حويش، بيان المعاني، ج6، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1382ه، ص318.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، ج1، ص1764.

دراسة ترتيب التركيب في النص من أهم عناصر البحث الأسلوبي؛ لأن تقديم عنصر وتأخيره يؤدي في الأغلب إلى تغير في الدلالة، وكذلك دراسة البناء للمعلوم والمجهول، والصيغ الفعلية وتركيباتها والزمن وتتابعه وهي من أهم مايدرس في الجانب التركيبي[1].

نلحظ في الجملة تقديم في التركيب وهو تقديم الجارَّ والمجرورَ(إلي) على المفعول الصريح (يدك)؛ إيذاناً من أول الأمر برجوع ضررِ البسطِ وغائلتِه إليه، وتقديم الجار والمجرور على الفعل الذي هو متعلقٌ به أعني كتبنا: يفيد القصر: أي من أجل ذلك لا من غيره

والتعبير بالجملة الاسمية" ما أنا بباسط" كما يقول أبو السعود: " ولم يُجْعلْ جوابُ القسم السادُّ مسدَّ جوابِ الشرط جملةً فعليةً موافقة لما في الشرط بل اسميةً مصدّرةً بما الحجازية المفيدةِ؛ لتأكيدِ النفي بما في خبرها من الباء؛ للمبالغة في إظهار براءتِه عن بسْطِ اليد ببيانِ استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى: " وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ " وقوله: " وَمَا هُم بخارجين مِنْهَا "

فإنّ الجملة الاسميةَ الإيجابيةَ كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاءِ لا على انتفاءِ الدوامِ، وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبارِ النفي لا قبله حتى يردَ النفيُ على المقيّدِ بالدوام فيرفعَ قيدَه "[2].

يقول أبو زهرة: " وقد أكّد النفى بأمورٍ ثلاثةٍ: أولها (التعبير بالوصف)، فهو ينفى عن نفسه وصف بسط اليد لأجل الاعتداء؛ لأنّ ذلك ليس من شأنه ولا من رغباته، والثاني ــ التعبير (باليد) للإشارة إلى أنّ ما بينهما من رابطة الرحم الموصولة عنده تمنعه من أن يمد إليه يده بالأذى، والمؤكد الثالث - التعبير (لأقتلك)؛لما فيه أنّ هذه الجريمة تنفر منها الطبائع السليمة ، ولا ترضى بها العقول المستقيمة، وخصوصا إذا كان يريد قتله"[3].

والتعبير بأسلوب القصر في قوله" إنما يتقبل الله من المتقين"؛ لبيان أنّ التقوى هي سبب التقبل للقربان، تنبيه أنّه ليس كل عبادةٍ متقبَّلة. بل إذا كانت على وجه مخصوص[4]..

والعدول عن زمن الماضي في الجملة الفعلية" فبعث الله غرابا" إلى زمن المضارع في "يبحث" بالمضارع بدل الماضى؛ لأن فى التعبير بالمضارع إشارة إلى حالٍ استمرت لا إلى واقعةٍ وقعت فقط، فالتعبير بالمضارع عن أمر مضى؛ لبيان أن الفعل مكث وقتاً وكان مجال استمرار[5].

كما نجد التقابل في الظاهرة؛ فقد قابل التعبير القرآني بين إنموذجين أخوين الأول: إنموذج الخير، والآخر: إنموذج الشر، وقد كشف لنا الحوار القرآني الشخصيتين كشفاً تاماً، بيّن لنا نفسياتهما ووضحهما لنا فالنفسية الأولى النفسية الخيرة التي قابلت عنف أخيها بكلّ بسطٍ وهدوءٍ، وامتنعت عن بسط الشر، وحافظت على أخوتها تجاه أخيها.

---

(1) الزمر، أحمد قاسم، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 2004، ص106.

(2) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2، دار إحياء التراث، بيروت، د. ط، د. ت، ، ص 226.

(3) أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، زهرة التفاسير، ج1، دار الفكر العربي. د. ط، د. ت، ص 2125.

(1) الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، تح: محمد علي النجار، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1996م، ص 1236.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص 2132.

والنفس الثانية هي النفسية الشريرة التي ضاق الشر في داخلها فتوعدت أخاها بقوله: "لأقتلنك"، وهي كلمة اختزلت كل معاني الشر والحقد وضيق الحوار وبلوغ الحقد إلى ذروته فيها، ولم تكتف بالتهديد وإنما قامت بالتنفيذ والقتل.

ونجد التناقض بين الأخوين في كل من الآتي:

التقابل في المشهد

الأخ الإيجابي	**الأخ السلبي**
قبول القربان	**رفض القربان**
تقواه وإخلاصه لله	**عدم تقواه وإخلاصه**
عدم بسط يده للقتل	**تنفيذ القتل**
خوفه من الله	**عدم خوفه من الله.**

وقد اهتم السرد القرآني بالردين طولاً وقصراً؛ إذ نجد أنّ رد الأخ الخير كان طويلاً في حين أنّ رد الأخ الشرير كان قصيراً جداً؛ ليكون السلوك السلبي والشخصية السلبية بارزتين مشخصتين[1].

وهكذا يرسم لنا القرآن الكريم النماذج البشرية بقصد التأثير، وهي نماذج خيرة وأخرى شريرة، نماذج للاقتداء، ونماذج للابتعاد عنها والتنفير منها، وبهذا تتحقق الوظيفة الدينية من خلال تصوير النماذج القرآنية[2].

كما نجد التقابل على مستوى اللفظ بين (قَتَلَ .. وأَحْيَا) طباق[3].

والكناية في سوأة : وهي هنا كناية عن الجثة بعد الموت، والعورة ما لا يجوز أن ينكشف من جسده. والسوأة : الفضيحة لقبحها. قال: يَا لَقَوْمِ لِلسَّوْأةِ السَّوْآء «1»أي: للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها[4].

والتصوير بالتشبيه في قوله" فكأنما قتل الناس جميعا" قال الزمخشري: "فإذا قتل فقد أهين ما كرم على اللَّه، وهتكت حرمته، وعلى العكس، فلا فرق إذاً بين الواحد والجميع في ذلك. فإن قلت : فما الفائدة في ذكر ذلك؟ قلت : تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن

---

(1) ينظر: عبدالله قدور سعد، جماليات المثل في السرد القرآني،(رسالة ماجستير) قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر،2015م ، ص156.

(2) راغب، عبد السلام ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فصلت للراسات والترجمة والنشر، ط2005،1م.، ص320.

(3) الزحيلي، د. وهبة مصطفى، التفسير المنير، ج6، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418ه، ص156.

(4) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص626.

الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرّض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها"[1].

وقال الزركشي: فإن قلت: كيف يكون قتل أحد ابني آدم للآخر علة للحكم على أمةٍ أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفسٍ واحدةٍ بمنزلة قاتل الناس كلهم؟.

قيل: إن الله سبحانه يجعل أقضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره؛ فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمة أمره الديني؛ لأن القتل لمّا كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخّم أمره وعظم شأنه وجعل إثمه أعظم من إثم غيره وأنزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلّها في أصل العذاب لا في وصفه[2].

والحكم قائمٌ في كلّ أمةٍ من الأمم الكتابية، لكنّه اختّص بني إسرائيل بالذكر مع أن المدة الزمنية بين ابني آدم وبني إسرائيل طويلةٌ جدا؛ ذلك لأنّ بني إسرائيل أمةٌ قد اتصفت بالقتل وسفك الدماء حتى كأنّهم قد جبلوا على هذا الأمر أو كأنّ القتل صار سجيةً من سجاياهم وميزة امتازوا بها ليس في القرون الخالية وحسب.

بل على امتداد تاريخهم وحتى في الوقت الحاضر ..فقد امتدت أيديهم قديماً حتى على أنبيائهم فقال تعالى:" ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق"(آل عمران)، وعليها أخذ الله ميثاقهم كما في قوله تعالى:ﭐ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﳋ ﳌ □(البقرة:84) ثم قال تعالى فيهم:ﭐ □ □ □ □ □ □ □ ﲞ ﲟ □ □ □ □ □ ﲦ (البقرة:85)

لذلك جاء هذا الحكم الحق ليدمغ بطلان النفس وفجورها عند بني إسرائيل .. [3].

ثانيا: الاختيار اللغوي(المفردة)

يدرس البحث في هذا المستوى اللفظ (المفردة) ودلالته على المعنى، وعلاقته بالسياق الذي وجد فيه كالآتي:

إذ نجد في الظاهرة ألفاظا تناسقت مع معانيها التي وضعت لها في الآية، فلفظ "اتلو" ومعناه اذكر خبر ابنى آدم ذكراً متتابعاً منسقاً يشبه الكلام العظيم المتلو، وأصل التلاوة القراءة المتتابعة الواضحة فى مخارج حروفها، والمصورة للمعانى فى وقوفها [4].

وعبر بلفظ (النبأ)، الفرق بين النبأ والخبر: أنّ النبأ لا يكون إلا للأخبار بما لا يعلمه المخبركما أنّه خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصل به علمٌ أو غلبة ظنٍ، ومنه اشتقاق النبوة، لأنّ النبي مخبرٌ عن الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى: ﱿ □ □ □ □ □ □ ﲆ (القصص:2) وقوله " □ □ □ □ (ص:21)"،وقوله تعالى:ﭐ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ □ □ □ □ □ ﳈ (النبأ:2)

فوصفه بالعظمة وصف كاشف عن حقيقته[5].

يقول أبو زهرة: " والنبأ هو الخبر العظيم ذو الشأن الذى يستدعى دراسة وعناية، ولا شك أن خبر ابنى ادم (خبر له شأنه) بما فيه من قتل الأخ لأخيه من غير جريمة ارتكبت، ولا شرّ وقعّ،

---

(5) المرجع السابق، ص627.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص98، 99.

(2) الشحود، علي بن نايف، الإعجاز اللغوي والبياني، كتاب الكتروني في المكتبة الشاملة، ص372.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب،(تلا).

(1) ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ج1، ص 528، 529.

ولا اعتداء، بل بسبب العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، فما كان سبب الاعتداء إلا ذلك ؟ ولذا ذكر سبحانه وقت الجريمة، وهو سببها، وباعثها، مما يدل على أن القلب الخبيث لا يدفعه فعل الخير المقبول إلا إلى الأذى الممقوت".[1].

والتعبير بالفعل المبني للمجهول(فتقبل)؛ لأنَّ الفعل المبنى للمجهول يتطلب سياقاً ذا دلالةٍ خاصةٍ تنبئ عن مكنون المشهد، وخفاياه المطوية؛ وليصوّر مجهول النفس وما طوي أو أضمر، ولهذا لم يسم الفاعل؛ إشارةً لتعليق قبول العمل على ما انطوى عليه القلب من إخلاصٍ وتقوى وإيمان، فتقبل الله من أحدهما؛ لإيمانه وتقواه, ولم يتقبل من الآخر؛ لكفره وحسده، وهذا وذاك محله القلب[2].

يقول سيد قطب: "والفعل مبني للمجهول؛ ليشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوة غيبية وإلى كيفية غيبية .. وهذه الصياغة تفيدنا أمرين: الأول: ألا نبحث نحن عن كيفية هذا التقبل ولا نخوض فيه، كما خاضت كتب التفسير في رواياتٍ نرجح أنّها مأخوذة عن أساطير " العهد القديم" ..

والثاني: الإيحاء بأنّ الذي قبل قربانه لا جريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله، فالأمر لم يكن له يدٌ فيه وإنّما تولته قوةٌ غيبيةٌ بكيفيةٍ غيبيةٍ تعلو على إدراك كليهما وعلى مشيئته .. فما كان هناك مبررٌ ليحنق الأخ على أخيه، وليجيش خاطر القتل في نفسه! فخاطر القتل هو أبعد ما يرد على النفس المستقيمة في هذا المجال .. مجال العبادة والتقرُّب ، ومجال القدرة الغيبية الخفية التي لا دخل لإرادة أخيه في مجالها[3].

ونلحظ الفعل(لأقتلنك) المؤكد (باللام + نون التوكيد) ففيه دلالةٌ على حرصه وشدة تعمده لقتل أخيه، والقتل فيه دلالة الموت بالإذلال، يقول ابن فارس: القاف والتاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدل على الإذلال والإماتة[4]، وهو ما يدل على الشرالمتأصل فيه، وعلى حب النفس، والضيق بالآخر، وهو ـ أيضا ـ ما تناسب مع المعنى الذي يريده الأخ الظالم الذي قتل أخاه.

واختار التعبير القرآني اسم الفاعل(بباسط)؛ لينفي أي قيامٍ له في البسط، وليصاحب النفي الاستمرار فيه؛ كون التعبير جاء بـ(النفي بـ(ما) + الباء) للمبالغة في نفي القيام ببسط يده،وفي زهرة التفاسير "فقد كان عن نفى الوصف، أى أنه لا يقع منه ذلك الفعل، ولا يمكن أن يقع[5].

يقول النيسابوري: " فذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقروناً بالباء المزيدة لتأكيد النفي دلالة على أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة" [6] .

وجاء الفعل "طوّعت"؛ ليوحي بممارسة التطويع مرة بعد مرة، فهو اقترابٌ بالتدرج للنفس من الفعل بوسوسةٍ بعد وسوسةٍ حتى يتم لها الطاعة الكاملة، والمعنى أنّ نفسه انقادت له بقتل أخيه طاعة تدريجية، وهي ما تناسب مع المعنى [5].

---

(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج5، دار الفكر العربي، ص2221.
(3) ينظر: د. محمد السيد موسى، الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول، أستاذ الأدب والبلاغة، جامعة المنصورة، (بحث في النت).
(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، ج2، ص876.
(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، (قتل).
(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (بسط).
(3) ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير،ج1، ص2125.
(4) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج2، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416 هـ / 1996 م، ص579.

وفي قولهُ□ □ □(المائدة:31) نلحظ أن دلالة الدهشة والإثارة ـ في الآية ــ تلتقي مع دلالة المفردة في السياق، فلو أخذنا البنية بصيغة (فأرسل الله غرابا)، سنجد: أن الإرسال دون البعث في الجرس والدلالة، والجامع لدلالة (أرسل) يفيد التمهل والاتئاد.

ولهذا يقال: استرسل إليه انبسط واستأنس، وترسل في قراءته اتأد[1]، وهذا لا يؤدي ما تؤديه دلالة بعث، وخصّص البحث في الأرض (يبحث في الأرض)؛ لأنّه لو لم يقل في الأرض؛ لتوهم غيرها في الجو أو البحر، فجاءت مناسبة لموقعها؛ كونها تتناسب مع الدفن

والبعث هنا مستعمل في الإلهام بالطيران إلى ذلك المكان، أي: فألهم الله غراباً ينزل بحيث يراه قابيل؛ وكأن اختيار الغراب لهذا العمل إما لأنّ الدفن حيلة في الغربان من قبل، وإما لأنّ الله اختاره لذلك؛ لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس، ولعل هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا:غراب البين[2].

" فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"؛ فاختار القرآن التعبير باسم الفاعل (النادمين)؛ كونه أصبح نادماً أشد ندامة؛ لأنّ"مِنَ النَّادِمِينَ" أدلُّ على تمكن الندامة من نفسه، من أن يقال: "نادماً"، والندم أسف الفاعل على فعل صدر منه؛ لم يتفطن لما فيه عليه من مضرة قال تعالى: " أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"(الحجرات:6).

أي ندم على ما اقترف من قتل أخيه؛ إذ رأى الغراب يحتفل بإكرام أخيه الميت، ورأى نفسه يجترئ على قتل أخيه، وما إسراعه إلى تقليد الغراب في دفن أخيه إلا مبدأ الندامة وحب الكرامة لأخيه.

ويحتمل أنّ هذا الندم لم يكن ناشئاً عن خوف عذاب الله ولا قصد توبة، فلذلك لم ينفعه، فجاء في الصحيح: "ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ ذلك لأنه أولّ من سن القتل"[3].

ثالثا: المستوى الصوتي:

يدرس هذا المستوى الصوت وعلاقته بالمعنى في السياق الذي وجد فيه.

ففي الآية الكريمة نلحظ بروز أصواتٍ لحركةٍ معينةٍ، كحرف القاف في (بالحق، قربا، قرباناً، فتقبل، لم يتقبل، لأقتلنك، إنما يتقبل، المتقين، لتقتلني، لأقتلك، قتل، فقتله، قتل)، وهو حرف شديدٌ مفخّم، يخرج من أقصى الحنك[4]، يتناسب مع الألفاظ التي ذكر فيها كالحق ووضوحه والجهر به، والتقبل وظهوره، والقتل وغلظته، وشدة وقعته والقيام به، وفظاعة جريمته، والمتقين ووضوح تقواهم في ظاهر سلوكهم، ووضوح وظهور التقوى على صفات المتقين وفي سلوكهم ومعاملاتهم.

وحرف السين في (بسطت، بباسط، الخاسرين، نفسا، نفس، الناس)، ومن المعلوم أن السين حرفٌ مهموسٌ يجري معه النفس بسهولة ويسر كما أنه حرف ترقيقٍ مستفل يوحي بالسهولة واليسر، والألفاظ التي جاء فيها توحي بهذا المعنى في البسط، والنفس، والناس .

وتوحي أصوات كلمة (الخاسرين) بجريانه معهم أي: الخاسرين، واصطحابهم له، وطول وشدة خسارته خاصة في حرف الخاء المظهر والألف المدية بعده التي توحي بطول الخسارة،

---

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص415، (نزع).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص85.
(2) المرجع السابق، ج5، ص86.
(3) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص277، 278.

وكذلك نجد حرف (السين)، وحرفي المد(الألف، والياء)، يوحون في اللفظة بعمق الخسارة، مع حرف الراء المرقق المجهور الذي يتناسب مع خسارته البينة والواضحة

كما نلحظ التناسب مع المعنى بين الظاهرة والحكم التجويدي، ففي قوله تعالى:" قرباناً فتقبل"

التقى التنوين مع حرف الفاء فتكوّن الإخفاء الصوتي الذي تناسب مع المعنى المخفي؛ لأنّ التقبل لا أحدٌ يعلمه وكيف تمّ ذلك، وإنّما علمنا بنتيجته، وفي قوله: "من أحدهما" التقى النون الساكنة بالهمزة فكونّا الإظهار الصوتي والمعنى أيضاً مظهرٌ؛ لأنّ الأخ الصالح تقبل الله منه، وكان التقبل ظاهراً من أثره الذي حصل به، وكان هذا التقبل سببا في قتله من قبل أخية السيء.

وفي قوله تعالى: " لئن بسطت" التقت النون الساكنة مع حرف الباء؛ فتكون الإقلاب الصوتي كما أنّ المعنى فيه إقلاب؛ كونه قبل الكلام عن البسط بالقتل لم يكن الأخ قد مدّ يده وبسطها لقتل أخيه، فحدث تحولٌ من عدم البسط إلى البسط .

وفي قوله: "غراباً يبحث" التقى التنوين مع حرف الياء فتكون الإدغام الصوتي، وهو متناسبٌ مع الإدغام في المعنى؛ كون الغراب وبحثه شكلا صورةً واحدةً امتزجا فيها، فالغراب بدون البحث في الأرض لن يفيد في الموعظة والعبرة، فهما ممتزجان لاكتمال الصورة المراد التعبير عنها .

وكونت أصوات الفاصلة في الآية "المتقين، العالمين، الظالمين، النادمين، الخاسرين، المسرفون" وهي ألفاظ مكونة من صوتي المد (الياء والنون)، و(الواو والنون)؛ " لما لهذه الأصوات من وقعٍ جميلٍ على السمع، فتثير هذه الحروف فينا الشعور بالمتعة، والإحساس بالجمال الصوتي؛ لأنهما من الحروف الطبيعية للموسيقى" [1].

وهي أكثر الحروف إثارةً نطقية؛ للتنبيه وللاستجابة لما يعرضه الله (عز وجل) في محكم تنزيله، " وكذلك (الميم والنون) هما أطول الصوامت العربية مدة زمنية في النطق" [2]، كما أنّها توحي بمد وإطالة المعنى الذي ذكرت فيه.

فتوحي (المتقين) باتساع مساحة المتقين وامتداد صفاتهم، كما توحي (العالمين) باتساع مساحة العالمين وامتدادهم، و(النادمين) بشدة الندم واتساعه وكثرة الأسف، وكذلك و(الظالمين، الخاسرين، المسرفون) أيضا توحي بمعنى الكثرة للخسارة والإسراف وإطالة البقاء فيها والتعمق فيهما.

ونلحظ الغنة في " لأقتلنك، أنه، فكأنّما" هذا التأكيد؛ ليدل في الأولى على الحرص على قتل أخيه وتعمده في ذلك، كما يدل في الثانية والثالثة على شدة التأكيد والحرص على فظاعة جريمة القتل.

الخاتمة

يختم البحث مادته ببيان أنّ القرآن الكريم استخدم ظاهرة التفصيل للمعنى بعد استيفائه في وصف وبيان نبأ(ابني آدم) فقصّ قصتهم في وصفٍ سردي متتابع؛ ليعبّر عن مراده، وليحقق معناه، وأنه راعى فيها المتلقي مراعاة كبيرة كونه المقصود منها؛ فاستخدم فيها أنواع الأساليب التصويرية، وعبر عنها باللفظ المناسب والمنسجم مع المعنى، كما استخدم الصوت اللغوي لتأكيد معناها وتعميقه، وهو ما يوحي ببيانه المعجز الفريد.

---

(1) محمد الصغير ميسة، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،2012م، ص66.

(1) الشمايلة، عبدالله محمد ياسين، الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1999م، ص47.

ويوصي البحثُ بدراسة، واستكشاف مكونات الجمال الفني في القرآن الكريم، والوقوف على روائعه؛ لبيان إعجاز الخطاب الرباني للبشرية، ولتعريفها به؛ ليزداد إيمانها بالله سبحانه وتعالى، ولتساهم في الدعوة إلى الله ببيانه المعجز.

مصادر البحث ومراجعه

1. إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط1، د. ت.
2. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1995م
3. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984م.
4. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979م.
5. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج5، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1987م.
6. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار(صادر)، بيروت، ط1، 1997م.
7. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2، دار إحياء التراث، بيروت، د. ط، د.ت.
8. أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوانه الشعري، ج2، تح: راجي الاسمر، دار الكتاب العربي، ط2، 1994م.
9. أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. د. ط، د. ت.
10. آل غازي، ملا حويش عبد القادر، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، د. ط ، 1382هـ .
11. الأنصاري، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، دراسة وتح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط ، د. ت.
12. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.
13. الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1964م.
14. د. محمد السيد موسى، الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول، أستاذ الأدب والبلاغة، جامعة المنصورة، (بحث في النت).
15. راغب، عبد السلام ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فصلت للراسات والترجمة والنشر، ط1،2005م.
16. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، 1966م.
17. الزحيلي، د. وهبة مصطفى، ، التفسير المنير، ج6، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418ه.
18. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ج3، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.
19. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1995م.
20. الزمر، أحمد قاسم، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 2004.

21. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، ج1، تح: نعيم زرزو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.
22. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج2، تح: محمود القيسة، ومحمد الأتاسي، مؤسسة النداء أبو ظبي، ط1، 2003م.
23. الشحود، علي بن نايف، الإعجاز اللغوي والبياني، كتاب الكتروني في المكتبة الشاملة.
24. الشمايلة، عبدالله محمد ياسين، الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، 1999م0
25. عبابنة، سامي محمد، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي البلاغي، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1، 2007م.
26. عبدالله قدور سعد، جماليات المثل في السرد القرآني،(رسالة ماجستير) قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر،2015م .
27. العبدلي، أمير فاضل سعد، في النقد الأدبي الحديث، مكتبة صلاح الدين الأيوبي، الحديدة، ط1، 2016م.
28. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1980م.
29. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الصناعتين،ج1، تح: د مفيد قمحه، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1989م.
30. العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل، الفروق اللغوية، ج1، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م.
31. الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3 ،1996م.
32. القزويني، سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط4، 1998م.
33. قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم ، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003م.
34. قلعجي، محمد رواس، حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ج1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م.
35. محمد الصغير ميسة، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر– بسكرة، الجزائر،2012م.
36. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1383ه.
37. المصري، ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1995،1م.
38. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج2، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416 هـ / 1996.